معززات العفة في شبابنا

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في جامع العادلية بحلب بتاريخ ٢٠٠٨/٢/١٥م

أمل الأمة الإسلامية في تغيُّر حالها إلى أحسن حال وتفوُّقها على أعدائها مستمَدٌّ من قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]

وكما يبحث شخصٌ ما في ليلٍ مظلم عن أملٍ ما يخلِّصه من ليل يأسه وإحباطه وهمّه وغمّه... جاءت هذه الآية في سورةٍ سماها الله سبحانه "سورةَ النور".

وكأنه بهذه الآية في هذه السورة يوجهنا إلى مصدر النور الذي يلغي تشاؤمنا ويستأصل يأسنا ويفتح لنا طريقًا من الظلمات إلى النور، لكن هذه الآية جاءت في سورةٍ تتحدث في مجملها عن أمرين اثنين كانا موضوعًا متكاملاً في هذه السورة:

– **العفّة**: حيث عرض ضوابطها ومعززاتها واختار أن يكون الحديث عن الإفك الذي وُجِّه إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها أن يكون مثالاً يُستشهد به في الموضوع.

– **والكلام على الله تبارك وتعالى وآياته**: التي بدأت بعد انتهاء حديثه وكلامه على العفة بقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] وأكمَل بعدها حديثًا عن آيات الله سبحانه وتعالى التي تسوق إلى تعظيمه، وعرَض عجائب خلقه ورقائق أفعاله.

وفي معرض الحديث عن الله وآياته وأفعاله، وكما استشهد في موضوع العفة بحديث الإفك، أورد مثالاً عمليًّا ليكون التقابل تامًّا من خلال الحديث عن المنافقين الذين فاتهم أن يكون هذا الإيمان بالله وآياته حاضرًا في قلوبهم.

هذه هي سورة النور التي قلبُها مختصرٌ ومجملٌ بقوله سبحانه:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

وكأنه سبحانه وتعالى وهو يشرح لنا مقدمات النهضة ويركز على هذين الأمرين: الإيمان والعمل الصالح، كأنه ينبِّهنا إلى أن العمل الصالح لا يُبنى إلا على أصل العفة وأساسه، فالسورة كلها تتحدث في كل تفصيلاتها عن هذين المجملين: **العفة، والإيمان بالله سبحانه وتعظيمه**، وتستفيض في زيادة علم العبد بربه ليزداد تعظيمه له.

والصلة بين الإيمان والعفة لا تنفك أبدًا، لأن معزِّز العفة الأكبر هو الإيمان بالله سبحانه، وقد صرّح بهذا في سورة يوسف حين قالت له امرأة العزيز: ﴿هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ولن أتحدث في هذا الموقف ودرسِ الجمعة هذا عن النصوص التي تحدثت عن الله وأفعاله، لكنني سوف أورِد من هذه السورة بعض النصوص التي عرضت أمورًا مهمّة في موضوع العفة.

أقول هذا وأنا أجد الحاجة ماسّة في هذا الوقت الذي ضعفت فيه هذه العفة في نفوس الشباب وفي قلوبهم وفي واقعهم وفي مدارسهم وفي جامعاتهم وفي أسواقهم وفي معاملاتهم... ضعفت العفة ومالت النفس إلى الرذيلة واستحبت الفاحشة، وبدأنا نشعر أننا نسير في منحدر، ونسرع في الهبوط إلى قعر الهاوية.

ما هذه بلادنا التي نعرفها، لاسيما وأننا على خط المواجهة، ولاسيما أننا مستهدفون، ولاسيما أننا اليوم مأوىً لمجاهدي فلسطين ومجاهدي العراق.

وحين أقول: مأوى لمجاهدي فلسطين والعراق، لا أعني أننا نصدِّر إيذاءً لأحد، لكننا نرفض الاحتلال الذي تنفذه الصهيونية وحليفتها على أرض فلسطين والعراق.

في مثل هذا الواقع ينبغي أن تكون العفّة رمزًا، وينبغي أن تكون في شبابنا حاضرة بقوة، وإلا فنحن نعيش اللامبالاة وانعدام الحس.

والشاب المنحرف الذي يتوجه إلى الرذيلة ويستسهلها يفقد هويته وشخصيه، ويعيش حالةً من تبلُّد الحسّ، ولا يشعر بما يجري حوله، إنما تشدُّه تلك المادِّية الغربية القذرة التي تفوقت في تقانتها وانحدرت في أخلاقها، ومالت إلى الإباحية إلى درجة لم تشهدها من قبل تلك المادية الغربية، ووصلت إلى درجة أصبح فيها رأسٌ من رؤوس تلك المادية يفخر بالزنى مع صاحبته.

إلى هذا المستوى أصبح ذلك العالم يعيش فقدان المبادئ وفقدان الأخلاق، وشبابنا كأن بينهم وبين تلك المادية رباطًا وثيقًا، ولا يشعرون بما يجري حولهم وما يحاك لهم.

أما نـــزلتم البارحة إلى شوارع حلب ورأيتم مظاهر الابتهاج والاحتفال بما يسمى بـــ: "يوم الفالنتاين"؟!

وما "فالنتاين" إلا رجلُ دينٍ نبذته الكنيسة وقتلته لأنه خالف مبادئها وانحرف بسبب تعلقه وشذوذه الجنسيّ الذي تنافى وقتها – في القرن الثالث بعد الميلاد – مع مبادئ الكنيسة، فقتلته الكنيسة، لكن الضغط العام الذي كان يتناسب مع الانحلال جعلهم بعد ذلك يخطِّئون ذلك السلوك.

ومن أجل رد الاعتبار لذلك الرجل الذي اسمه "فالنتاين" قرروا أن يجعلوا له يومًا تخليدًا لذكرى زناه وتخليدًا لاسمه، فاضطرت الكنيسة إلى الموافقة، وتم اختيار يوم وثنيٍّ هو الرابع عشر من شباط (١٤ فيبراير)، وكان يومًا مقدَّسًا عند الوثنيين، يعبدون فيه صنمًا يسمونه "آلهة العشق" فاختير ذلك اليوم ورُبط بفالنتاين.

ثم بدا للكنيسة في الآونة الأخيرة – منذ ثلاثين سنة – أن الاحتفال والابتهاج بـــ: "فالنتاين" إنما هو ترسيخٌ للانحراف، فتراجعت الكنيسة عن ذلك اليوم.

هذه هي قصة "فالنتاين"، ونحن نحتفل بـــ: "فالنتاين" في البلاد الإسلامية، ويُغطَّى كلُّ ذلك بكلمة كاذبة بَرَّاقة لا حقيقة لها ولا أصل، فيسمونه "عيد الحب"، وأين الحب؟

الحب الذي يصنع الإنسان يتناقض مع الانحراف، ويتناقض مع نبذ الفضيلة..

الحب حين يكون في الإنسان يهذبه..

الحب حين يكون في الإنسان يرفعه..

الحب هو أسمى قيمة في الوجود..

ونحن نعيش غُثائيَّةً مَقِيتة منحطّة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: **(لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب خرب لدخلتموه)**.

إنه التقليد الأعمى.. إنه فقدان الثقافة الإسلامية.. إنه فقدان الشعور بالواقع الحاضر..

فما هذه بلادنا التي نعرفها.

وأختار من النصوص في هذه السورة العناوين الآتية:

١– التحذير من توسيع دائرة الفاحشة في هذه الأمة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩] أي لا تعلمون أن دخول الفاحشة إلى الأمة يعني نهايتها، ولا تعلمون أن انتفاء الفاحشة يعني رقيًّا في الأمة، وأن وجود الفاحشة يعني أن الأمة تسير نحو هاويتها.

فقد الغرب قِيم الأسرة وقيم الأخلاق، ونحن لا نقلد تقانتهم ولا مراكزهم البحثية، لكننا نقلد عُهرهم وسفورهم، ونقلد ما يسمى بـــ: "الموضة" التي ترِد من بلادهم هناك.

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠] وهنا جوابٌ مقدَّر، أي: لمسَّكم عذابٌ عاجلٌ كلما حاولتم أن تقعوا في نوع من أنوع الفاحشة.

٢– التحذير من مقدمات الفاحشة:

قال سبحانه في الآية التي بعدها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ . .﴾ [النور: ٢١] ألسنا نسير خطوة خطوة إلى الفحشاء من خلال مقدماتها؟

ثيابنا تغيرت فصارت أبعد عن العفة ذكورًا ونساءً.. وإعلامنا تغيَّر..

وأصبحت الفضائيات تغزو بيوتنا وتأتي من غير استئذان بالفاحشة ورموزها ولوازمها حتى أصبح مظهر العهر معتادًا.

والتكريم والتقديم يكون للأقرب من الفاحشة.

جارتنا تركيا تسير صعودًا ونحن نسير هبوطًا، فهم يعيدون الحجاب وما حققوا إلا إرادة شعب، ونحن ما نـــزال نُبعد ساحاتنا الرسمية عن مثل ذلك.

إنهم لم يُرغموا أحدًا على الحجاب، وكذب العلمانيون هناك الذين يقولون: إن ما يفعله الأتراك مقدمة لفرض الحجاب.

كذبوا.. فالإسلام لا يجبر أحدًا على سلوك.

كذبوا وافتروا على الله كذبًا.. إنما هو الانسجام مع الذات.

فالإسلام لا يدعو إلى الإكراه، لا في اعتقاد ولا في سلوك: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

﴿ . .وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ أي ما سار إلى الطريق المستقيم مهتديًا، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء ﴾ بالإيمان وبالثقة بالله وبتعظيم الله، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

٣- تشجيع الإنفاق الماليّ المعين على اجتناب الفاحشة: ولو كان الذي آذاك في مالك أو عِرضك مستفيدًا من هذا الإنفاق، لأن الأولوية هي للمصلحة الخُلُقية لا للشعور الذاتي وذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ أي الذين يمتلكون المال، ﴿أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ فعليهم أن لا ينبعثوا في هذا الإنفاق المصلحيّ الخلقي من الشعور النفسيّ الخاصّ، ﴿أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

فجاء في معرِض معالجته لموضوع العفّة بقيمة المال التي تدعم العفّة.

ولا ينبغي أن نتوقف في هذه الآية عند خصوص السبب، وهو القصة بين مِسطح والصِّدّيقِ أبي بكر رضي الله عنهما، فخصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ كما هو معلوم عند العلماء، فالنص يؤكد على قيمة المال الداعم، كالمؤسسات التي تدعم العفة، والمؤسسات التي ترتقي بالأمة الإسلامية في جانب العفة.

وقلت لكثير من أصحاب المسؤوليات: استعينوا بالمؤسسات التربوية والثقافية، فالتطرُّف الذي تلاحظونه ما هو إلا ردّة فعلٍ فرديَّة، ولا يمكن أن نُعالج التطرُّف بالقوة، فهي تجربة فاشلة تم تطبيقها في كل البلاد، ولا يمكن للعنف ولا للقوة ولا للسلاح أن يلغي التطرف، والذي يلغي التطرف إنما هو المؤسسات التربوية التي تعتني بالشباب وبأخلاقهم وبعقولهم وبعلومهم، وتفتح لهم مجال النادي الثقافي ومجال العلاقات الاجتماعية الفاضلة...

فإذا حصل مثلُ هذا لا يبقى تطرُّف.

وهذا يحتاج إلى إنفاقٍ يشجع الفضيلة والعلم والأدب والثقافة... أكثر من تشجيع المطربات، وأكثر من تشجيع الفنان والفنانة، وعندها يمكن أن نتناسب مع العفة.

أما أن تنفَق الأموال الطائلة من غير استئذان الجانب الآخر!!

إذًا: عنصر الدعم الماليّ غائب، فينبغي أن يوجد صندوقٌ شعبيٌّ كبير اسمه "صندوق العفة"، وهو غير دعم تزويج الشباب، فهذا أمر آخر.

فالعفة قيمة ينبغي أن يعتنى بها وأن تكون حاضرة.

وقد قلت مرارًا وتكرارًا:

الإسلام بعيد عن التطرف.. الإسلام هو الوسطية.. الإسلام هو التوازن.. الإسلام لا يولِّد عنفًا..

وإذا قرأتم القرآن تجدونه في الوسطية ويدعو إلى الوسطية في كل توجيهاته:

- يقول تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] الوسطية.

- ويقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

- ويقول صلى الله عليه وسلم: **(لا صَامَ مَنْ صَامَ الدَّهْرَ)** لأنه جعل الإفراط مساويًا للتفريط.

فديننا يدعو إلى الوسطية، والوسطية تفرز الفضيلة.

فحين يوجد هذا الدعم الماليّ الذي يُتبنى على مستوى الشعوب ولا تُعارِض فيه الحكومات دعم العفة...

فالعفة والمال الذي يدعّمها قضية كبيرة، فيها أدب يدعم العفة، وفيها فنّ يدعم العفة، وفيها ثقافة تدعم العفة، وفيها كتب ومسرحيات وقصص، وفيها واقعٌ عمليٌّ اجتماعيٌّ يُدعِّم هذا إذا كنّا نريد العفة، أما إذا كنّا لا نريد العفة فإننا نخاف من شَبَحِها.

العفة هي التي تقود إلى التقدم والتطور.

٤- التحذير من المساس التعبيريّ السيئ بالمؤمنات الفاضلات:

وقد وجدتُ هذا منتشرًا انتشارًا عجيبًا بقصدٍ وبغير قصد، فلا تذكر الحجاب في مجتمع إلا ويقال مباشرة: كم من محجبة حجابُها يخفي رذيلة!

وقد اجتمعتُ في بلادنا وخارج بلادنا بأصناف كثيرة، وعندما يُذكَر الحجاب تُهيَّأ مباشرة سهام موجهة، بل مدافع وقاذفات ليقال: إن المحجبة جاهلة، وهي صاحبة رذيلة، وهي لا تملك من قيم الحضارة شيئًا... فالسافرة وحدها هي المثقفة، وهي التي تملك ما يحتاجه الإنسان من التقدم..

وقال الله سبحانه في هذا العنوان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور: ٢٣] فالذي يلعنهم هو الله.

وقالوا لي في مصر: ما هذه الظاهرة؟ ممثلة كبيرة تجني الملايين بل المليارات، وتعرض عن الانغماس في عملها السابق، فمن أين تأتي بالدخل؟ لا شك أن هناك مؤسسات كبيرة تدعم هذه الظاهرة وتموِّل كل محجبة بمال كبير.

سمعت هذا من أوساطٍ ليست على سوية بسيطة، إنما على أعلى سويات المجتمع.

إنه اتهامٌ موجَّه أن هناك منظمات إرهابية (كما يقولون) تدعم كلَّ امرأة تَغيَّر سلوكُها من السفور إلى الحجاب.

هكذا التبني، وهناك قناعة به.

إنه كذب وتصديق للكذب.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي يحاسبهم ويجازيهم جزاء عادلاً، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤-٢٥].

فتُوَظَّف القصص، وتُنشر الكتب، ويستخدم الكاريكاتير المسيء الذي يسيء إلى المحجبة، بل وأظهرت تلك المادِّية الغربية انحطاطها وقذارتها حين عادت إلى نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة إلى حضرة سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم، و لم تعد هذه المرة صحيفة واحدة، بل سبع عشر صحيفة تنشر باتفاق وبتنظيم الرسومَ داخل الدانمرك فقط، وهذه الظاهرة سوف تنتشر انتشار النار في الهشيم في كل صحف أوربا، وانتظروا...

إنه الاستخفاف بكم وبحضارتكم وبدينكم وبنبيكم...

وهل العلاج أن تحرقوا أعلامهم؟

لا والله، إنما العلاج أن تهجروا عُهرهم، وأن تعلنوها ثورةَ عفّة، وأن تعلنوها ثورة فضيلة...

ما فائدة إحراق علم الدانمرك أو غيرها؟ وما قيمة ذلك؟

إنه تفريغ شحنات لا قيمة له.

أيها الشباب، ينبغي أن يكون انفعالكم وانتصاركم في عالمنا الإسلاميّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال التمسك برسول الله، ومن خلال الاتّباع لرسول الله، ومن خلال سلوكٍ يعلن الانتماء والفخر أننا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم.

هذه هي ثورة الفضيلة.. هذه هي ثورة العفة.. هذه هي ثورة الإيمان..

فليست ثورة الإيمان صياحًا ولا مظاهرات...

ثورة الإيمان هي التفاعل السلوكيّ، وهي حبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلئن كانوا قد أعلنوا انحطاطَهم وخروجَهم عن الأخلاق، وما كانوا يسمونه باحترام الآخر، وما كانوا يسمونه بتصدير الحرية وحقوق الإنسان للإنسان والذي أصبح اليوم أمره مفتضحًا، وأصبح واضحًا في قذارته، وواضحًا أنه تعبير عن نفوس فوضوية لا تنضبط بضابط... فالردُّ يا شباب هو التزامكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، والتزامكم بسنّته وعفته وأمانته وعلمه، وارتقاؤكم في العلم والعمل.

هذه هي الثورة المضادة التي من خلالها يجسد واقعنا الإسلاميّ إن كان لدينا واقعٌ إسلاميّ.

سيعودون ثانية وثالثة ورابعة، وسيسيئون إلى المحجبات، وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى كل شعيرة من شعائر الله... وليس هذا مستغربًا، بل المستغرب أننا لا نفهمهم، وأننا نبقى نطالبهم أن يكونوا أصحاب الإسلام وجنوده والمدافعين عنه.

لا.. إن أسقف بريطانيا الأكبر وقف وقال: ليكن الإسلام جزءًا من القانون البريطانيّ، لأن بريطانيا يوجد فيها مسلمون، وردت المادية العلمانية وبوقاحة: لا..

هل هذه هي ديمقراطيتهم؟

فمن الكنيسة كبيرُ الأساقفة يقول: حقُّ الإنسان من حق المواطنة، وهو جزء من الشعب البريطانيّ.

وهم يقولون: لا.

إذًا: كفى كذبًا.. وكفى افتراءً..

يا شباب، التزموا، وعودوا إلى هويتكم، فالآخر لا يُنصِفكم ولا يعتبركم، بل يحتقركم ويريد إلغاء وجودكم، وقيمتُكم هي من خلال حضارتكم.

أنتم تملكون حضارة، وتملكون قيمًا، وتملكون أخلاقًا... فالتفتوا إلى الشرق.

واجتمعتُ يومًا من الأيام بصانع ماليزيا الحديثة، وقال: أنصحكم أن تلتفتوا إلى الشرق، أعيروا انتباهكم قليلاً إلى الشرق فقد أعمانا النظر إلى الغرب عن الشرق، وأعمانا النظر إلى الغرب عن حالنا وعن خصوصياتنا، وعما نملكه... فالشمس تشرق من الشرق.

٥- توضيح المجانسة في الأوصاف التي تربط المجانس بمجانسه والتأكيد عليها:

إنه يضع مفاصَلةً سلوكية خُلُقية، فإن نحن فهمنا هذه المجانسة نرتقي، وذلك بقوله: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

إذًا: لا بد من مرافقة وموافقة، ولا بد من مجالسة ومجانسة... ومن خلال هذه المجانسات التي يكون فيها تجمع العفّة والفضيلة حاضرًا يرتقي الإنسان في عفته وفضيلته.

٦- وضع الضوابط الخُلُقية المعززة للعفة:

١- احترام خصوصيات البيوت.

والبيت مملكةُ المرأة، فالمرأة في بيتها صاحبة ملك تام في زينتها وهوايتها ورياضتها وفي حضورها المعنويّ والحسّيّ، وأبان ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ. .﴾ [النور: ٢٧-٢٨] فالبيت حصن العفة.

٢- احترام ظروف البيوت:

فالبيت له خصوصية، وللبيت ظروفه، لأن هذا البيت هو مأوى العفة والفضيلة، وينبغي أن يكون عامرًا بالبهجة، وعامرًا بالخصوصية بين الزوجين، وعامرًا بالعلاقة الحميمية التي لا يطّلع عليها أحد ولها ظرفها، فقد يكون هذا البيت في وقتٍ ما فرحًا بفضيلته وعفته، يقول سبحانه: ﴿ . .وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ، لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أما المسكونة فلا.. ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور: ٢٨-٢٩].

٣- الدعوة إلى العفة من خلال التدريب بالابتعاد عن مثيرات الفتنة:

يقول تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا . .﴾ [النور: ٣٠-٣١]

٤- تشريع الحجاب المعزِّز للعفة والحاجز عن الفتنة:

﴿ . . وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

ابتعدوا عن الفتنة، وابتعدوا عن مثيراتها.

وهكذا قدّم أربعة ضوابط تعزِّز العفة، وبقي عنوانان في موضوع العفة الذي قدَّمَتْه سورة النور:

٧- تزويج العزّاب:

﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

٨- انتظار العُزّاب الفرجَ إذا لم يتيسَّر لهم التزوُّج:

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

إنه موضوع متكامل.

القرآن يقدِّم كل شيء، فإذا كنتم تريدون العفة، فهذه ثمانية عناوين كأبواب الجنة، فادخلوا من هذه الأبواب إلى فِناء العفة أيها الشباب وأيها الرجال، فالعفة أصل هويتنا، وارتباط عملنا الصالح بأصله هو ثمرة الإيمان، وثمرة الخشية.

رُدَّنا اللهمَّ إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.